مقالة

الأهوار العراقية في عيون أجنبية

الاستاذ علاء خليل ناصر

الكلمات المفتاحية: الاهوار. اراء . الاجانب

الملخص:

تعد الأهوار العراقية الممتدة مساحاتها الواسعة في جنوب وشرق العراق، بلاد مابين النهرين، معلماً طبيعياً وبيئياً مهماً ومتميزاً على إمتداد تاريخ بلاد الرافدين منذ قديم الزمان فهي جنات عدن كما يسميها كيفن يونغ. وتؤطر هذه الاهوار الفريدة في معالمها وطبيعتها جزءاً مهماً من خريطة العراق في الماضي والحاضر. وهي تسلط الضوء وتكشف تفاصيل مهمة من تاريخ بلاد الرافدين. هذا التاريخ الذي يمتد في العمق الى ما يقرب من سبعة الاف سنة حتى يومنا الحاضر. إنها تقدم صورة حقيقية وناصعة على عمق الحضارة العراقية، وتلخص للزائر والمشاهد صورة حقيقية عن بلادنا الحبيبة بكل معالمها وتضاريسها وطبيعتها الخلابة وتنوع اجوائها ومواقعها عبر مراحل التاريخ . فهي عنصر جذب ناجح للأقوام والسياح والزائرين منذ زمن بعيد لما تمتلكه هذه المناطق من مقومات فريدة قرار اليونسكو مما دعت وشجعت منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة على ادراجها ضمن ملف التراث العالمي إسوة بالعديد من المعالم السياحية والتاريخية الفريدة والمهمة المنتشرة في انحاء الأرض قاطبة . ورغم ان هذا القرار الأممي استغرق وقتاً طويلاً وجاء متأخراً، ولكنه رغم كل شيء، فقد كان قراراً مهماً ومطلوباً وانتظره العراقيون مدة طويلة لكي يطرح على ارض الواقع وينفذ كما اعلن عنه اخيراً بعد ان حسم في اجتماعات اللجنة المكلفة بالموضوع خلال اجتماعات تركيا قبل أشهر من الآن. لكي نتعرف جيداً وعن كثب على اهم تفاصيل هذه الاهوار وطبيعتها وتاريخها وتنوع سكانها واهم الاحداث المهمة التي شهدتها عبر تاريخها الطويل، لا بد لنا من ان نتوقف لحظات في كل محطة من هذه المحطات المفصلية المهمة لكي نصل الى ما نطمح اليه من تفاصيل ومعلومات شيقة تدعم صحة كلامنا وما ذهبنا اليه من اخبار تضمنها بحثنا الموسوم الاهوار العراقية في عيون اجنبية.

المقدمة :

تعد الأهوار العراقية الممتدة مساحاتها الواسعة في جنوب وشرق العراق، بلاد مابين النهرين، معلماً طبيعياً وبيئياً مهماً ومتميزاً على إمتداد تاريخ بلاد الرافدين منذ قديم الزمان فهي جنات عدن كما يسميها كيفن يونغ . وتؤطر هذه الاهوار الفريدة في معالمها وطبيعتها جزءاً مهماً من خريطة العراق في الماضي والحاضر.

وهي تسلط الضوء وتكشف تفاصيل مهمة من تاريخ بلاد الرافدين . هذا التاريخ الذي يمتد في العمق الى ما يقرب من سبعة الاف سنة حتى يومنا الحاضر.

إنها تقدم صورة حقيقية وناصعة على عمق الحضارة العراقية، وتلخص للزائر والمشاهد صورة حقيقية عن بلادنا الحبيبة بكل معالمها وتضاريسها وطبيعتها الخلابة وتنوع اجوائها ومواقعها عبر مراحل التاريخ. فهي عنصر جذب ناجح للأقوام والسياح والزائرين منذ زمن بعيد لما تمتلكه هذه المناطق من مقومات فريدة قرار اليونسكو مما دعت وشجعت منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة على ادراجها ضمن ملف التراث العالمي إسوة بالعديد من المعالم السياحية والتاريخية الفريدة والمهمة المنتشرة في انحاء الأرض قاطبة .

ورغم ان هذا القرار الأممي استغرق وقتاً طويلاً وجاء متأخراً ، ولكنه رغم كل شيء ، فقد كان قراراً مهماً ومطلوباً وانتظره العراقيون مدة طويلة لكي يطرح على ارض الواقع وينفذ كما اعلن عنه اخيراً بعد ان حسم في اجتماعات اللجنة المكلفة بالموضوع خلال اجتماعات تركيا قبل أشهر من الآن .

لكي نتعرف جيداً وعن كثب على اهم تفاصيل هذه الاهوار وطبيعتها وتاريخها وتنوع سكانها واهم الاحداث المهمة التي شهدتها عبر تاريخها الطويل، لا بد لنا من ان نتوقف لحظات في كل محطة من هذه المحطات المفصلية المهمة لكي نصل الى ما نطمح اليه من تفاصيل ومعلومات شيقة تدعم صحة كلامنا وما ذهبنا اليه من اهبار تضمنها كتابنا المعنون ((الاهوار العراقية في عيون اجنبية)) والذي هو موضوع محاضرتنا هنا امام هذا الجمع الطيب والمتميز من اهل العلم والثقافة والادب من بغداد وابناء الرافدين الاعزاء .

وقد كان الكتاب (Return to the Marshes) العودة الى الاهوار للكاتب البريطاني (كيفن يونغ) ومصوره (نيك ويلر) ؛ ولكتاب (المعدان عرب الاهوار) للكاتب والرحالة البريطاني (ويلفر ثيكر) مصدران مهمان استنقيت منهما الكثير من المعلومات والتفاصيل التي تتعلق بالاهوار العراقية ، بالاضافة الى ما وفرته موسوعة العراق لعام 1936 من معلومات وتفاصيل مهمة ايضاً حول هذا الموضوع إلى جانب مصادر أخرى .

اهمية الاهوار

ان الاهوار العراقية تحتل اهمية خاصة ، وتستحق ان تذكر وتدون في ملف التراث العالمي لعدة اسباب منها وحسب وجهة نظري :

1- فهي تشكل إرثاً تاريخياً بارزاً في خريطة وادي الرافدين والحضارة العراقية . فهي التي يطلق عليها بعض المؤرخين اسم ((جنات عدن)) التي ورد ذكرها في التاريخ القديم ، وسماها كيفن يونغ ((حدائق عدن الخالدة)) في كتاب العودة الى الاهوار.
2- تمتد هذه الاهوار الى مساحات واسعة من الارض والمياه . وتكاد تكون فريدة في طبيعتها وعالمها على الاصعدة الجغرافية والتاريخية والبيئية لما تمتلكه من خصائص وتنفرد بع من صفات قل نظيرها على مستوى العالم .
3- لقد حافظت هذه الاهوار على طبيعتها ومكانتها البيئية والبشرية، من عهود طويلة .
4- هي مصدر ثروة حقيقية لأبناء الرافدين خصوصاً تلك القوى البشرية التي تستوطنها منذ ازمان بعيدة . وفيها ثروات متعددة من احياء مائية وبرية واسماك وبردي .
5- تعد حافزاً مهماً للسياحة لما تمتلكه من سحر الطبيعة وجمال البيئة وما تنفرد به صور العيش والانتاج والعمل .

فهي مصدر ثروة حقيقي اذا ما احسن استغلالها وادارتها وتنظيمها وفق الشروط العلمية والصحية والحضارية فهي عنصر جذب للسياح من مختلف دول العالم لما تمتاز به من خصائص .

العودة بالذاكرة الى سنوات فلت 1977 :

- ندوة لندن لكيفن يونغ عام 1977 .
- لقائي الصحفي الخاص مع مؤلف كتاب العودة الى الاهوار كيفن يونغ ونيك ويلر.
- مراجعة كتاب المعدان عرب الاهوار للرحالة (لويلفر ثيكر) وما احتواه من تفاصيل مهمة يحتاجها القاريء العزيز.

نبذة عن نشوء الاهوار تاريخياً :

- في الالف الثالث قبل الميلاد حيث غطى الطوفان وجه الارض ولكن الانسان استطاع ان ينجو بمعجزة من الله تعالى وارادة منه سبحانه .

السومريون أول من سكن الأهوار وبنوا مدنهم في هذه المسطحات المائية وهي مطمورة اليوم تحت أكوام من الطين والماء أنهم أول من أسس لحضارة بشرية على وجه الأرض حتى يومنا هذا وهو ما تؤكده كتب التاريخ.

بزوغ حضارة بابل سنة٦٢٨ قبل الميلاد ومن ثم حضارة آشور وبعدهم الميديون سنة ٦٠٦ قبل الميلاد ثم جاء الحكم الكلداني لمدة ٧٠ سنة من الحكم بعد سقوط نينوى ثم غزو ((قورش)) الفارسي سنة ٥٣ قبل الميلاد وبعده ؟؟؟؟؟ الميتانيون القادمون من بلاد الهند وأخيرا الهيلاميون الذين مارسوا نفس الدور التخريبي المدمر في بلاد الرافدين

لقد مر الاغريق والفرس والسلجوقيين وال؟؟؟؟ والرومان

وبعدهم الفرس بجيوشهم الغازية لبلاد الرافدين وعاثوا فيها فسادا وتدميرا ليغادروها بعدئذ مهزومين مدحورين على ايدي ابناء الرافدين وخصوصا بعد انبثاق النهضة العربية من عمق الصحراء واندفاعهم من هناك من جزيرة العرب في موجات الفتوح المتتالية ليحكموا العراق في بداية القرن السابع الميلادي وكان هدفهم نشر الدين الاسلامي من جهة وطمعا بخيرات العراق الغني من جهة اخرى

ظل العراق تحت السيطرة العربية حوالي ١١٦ سنة بدأ امر حكمه من المدينة في الحجاز اولا ومن ثم من مدينة دمشق عدا فترة قصيرة هي تلك التي تولى الخلافة فيها الامام علي (عليه السلام) عندما حكم العراق من مدينة الكوفة العراقية في تلك الفترة القصيرة استطاع السكان العربي الوافدين ان يقيموا لانفسهم ارستقراطية عسكرية صغيرة مقرها في المدن حيث وزعوا الوظائف والمناصب على ابنائهم وافراد عشائرهم.

ان الاهوار هي ملجأ آمن للعناصر المهزومة والجيوش المدحورة منذ قديم الزمان وذلك لما تمتاز به من غابات القصب الكثيفة التي تتيح الفرصة للاختباء بعيدا عن عيون الاعداء ورقابتهم.

لقد هزم الملك الآشوري الكبير سرجون الكلدانيون الذين كانوا يعيشون في ثنايا الاهوار وبعد عشر سنوات استطاع ان يجبر حاكم مصر للخضوع لسلطانه في حوالي سنة ٧١٠ قبل الميلاد وتوجد صور هذه المعركة الكبيرة في نقوش زينت قصره في خرساباد.

وبعد مرور ستة عشر قرنا اصبحت الاهوار المركز القوي لل؟؟؟؟ بعد ثورتهم ضد الدولة العباسية وهم عبيد ينحدرون من اصول افريقية جيء بهم من اجل تجفيف الاهوار في المناطق المحيطة بمدينة البصرة.

واستطاعت العشائر العربية المهاجرة التي استوطنت الاهوار ان تحافظ على نقاوتها وتماسكها رغم صعوبة العيش في مناطق الاهوار.

ان اهم الاهوار العراقية قد تكونت منذ قرون طويلة نتيجة فيضان نهري دجلة والفرات وهي هور الحمار وهور الجبايش وهور الحويزة وهناك اهوار شرقية ووسطى وجنوبية

من هم سكان الاهوار:

هم من اقوام سامية سكنت هذه المناطق منذ قديم الزمان فهم من اقوام سومرية واكدية وبابلية وبعض سكان الجزيرة العربية من العرب

والاهوار من اقدم المناطق العراقية المأهولة بالسكان منذ العهد السومري الاول قبل ٣ الاف سنة قبل الميلاد وقد اطلق العرب الاوائل اسم (البطائح) على هذه المناطق لإن الارض هناك تأخذ شكل الانبطاح وهذا هو شكلها حتى وقتنا الحاضر

اول زيارة لكيفن يونغ للاهوار عام ١٩٥٦ ؛ ثاني زيارة عام ١٩٥٨ وبعدها عام ١٩٧٣ مع زميله نيك ويلر (المصور)،يقول يونغ ان ويلفر ثيكر هو من شجعه على زيارة الاهوار لاول مرة ، ويعتبر يونغ رابع اجنبي يزور الاهوار ويمكث فيها ويصدر عنها كتابا شاملا

لم يخف يونغ مشاعره حول مدى تعلقه بسكان الاهوار من الناس البسطاء ومن مختلف الاعمار واعجابه بصمودهم وتكيفهم للعيش في تلك المناطق النائية والبعيدة عن متطلبات التمدن والتحضر إنها مناطق بقدر ماهي جميلة وممتعة بعض الشيء فهي موحشة ايضا ونائية، ويسرد يونغ في كتابه العودة الى الاهوار ما صادفه خلال رحلته وعيشه بين سكان الاهوار من احداث وصعوبات ولحظات ممتعة احيانا حيث تعرف على سلوك سكان هذه المناطق وعاداتهم وتقاليدهم وتعرف على العديد من ابرز الشخصيات والافراد ذوي المنزلة الخاصة من سكان الاهوار

وضمن كتابه العديد من اللقطات والصور الفريدة والواقعية عن سكان الاهوار معتمدا على عدسة صديقه المصور المحترف نيك ويلر الذي تسلل بعدسته الى ابعد نقطة وزاوية في الاهوار العراقية ليلتقط العديد من الصور النادرة والجميلة الاي تؤطر حقيقة العيش لسكان الاهوار وكيفية قضاء اوقاتهم ومناسباتهم المختلفة

تأتي زيارة يونغ للاهوار بعد تشجيع وتحفيز الرحالة البريطانى (كيفن ماكسويل) الذي زارها عام (١٩٥٦) وبعده جاء (ويلفر ثيكر) الطبيب والرحالة البريطانى ليزورها ايضا عام ١٩٥٦ حيث امضى كلاهما عدة اسابيع في هذه الاهوار وكلا السيدين اصدرا كتابين وثقا فيهما زيارتهما الى الاهوار ووصفا هذه الاهوار بأدق الصور والمعلومات اعتمادا على مشاهداتهما وجولاتهما في الاهوار، صدرت حتى الان (٤) كتب باللغة الانكليزية عن الاهوار العراقية لرحالة بريطانيين سنحت لهم الفرص لزيارة الاهوار والمكوث فيها لاشهر طويلة وهم :

كيفن ماكسويل : البريطاني وهو رحالة زارها عام ١٩٥٦

ويلفر ثيكر : طبيب بريطاني ورحالة زارها في العام نفسه واصدر عنها كتابه المعنون المعدان

عرب الاهوار

كيفن يونغ : وهو صحفي بريطاني زارها ٣ مرات اولها عام ١٩٥٦ ثم عام ١٩٥٨ وبعدها عام ١٩٧٣

نيك ويلر : صحافي ومصور بريطاني رافق كيفن يونغ في زيارته الى الاهوار عام ١٩٧٣ ومكث فيها لفترة من الزمن مع يونغ

اصدر يونغ ونيك ويلر كتابهما المعنون العودة الى الاهوار في عام ١٩٧٧ ويتضمن الكتاب وهو باللغة الانكليزية وصدر عن مطابع شركة وليم كولينز البريطانية في لندن ١٢ فصلا مصورا ومشوقا عن عالم الاهوار بكل خصائصها وتفاصيلها وطبيعة الحياة فيها

أخيرا اود ان اختتم محاضرتي السريعة هذه بالقول بأن كتابي المتواضع هذا رغم اهميته وتوقيت إصداره فأنه لا يمكن ان يفي بالموضوع لأن الاهوار العراقية ومما قلت في بداية حديثي عالم فريد ومتميز ذو طبيعة خلابة وساحرة تمتد في تاريخها الى عمق الزمن

وما تحتاجه منا كعراقيين ان نوليها المزيد من الاهتمام والرعاية خصوصا في الجوانب الصحية والبيئية والتربوية

المقدمة من ذلك إيلاء جانب النظافة المزيد من الاهتمام وبشكل فعلي وبلا تقاعس فصورة الاهوار اليوم تبدو مشوهة وبعيدة عن مسار التمدن والحضارة

لهذا فأن ادراج ملف الاهوار في سجل التراث العالمي يفسح امامنا المجال للاهتمام بهذه الرقعة الجغرافية من بلاد الرافدين والاستفادة السريعة من مزايا هذا القرار الامي المفيد والمهم.

The Iraqi Marshes in Foreign Eyes

Alaa Khaleel Naser

Keywords: marshes. opinion. Foreigners.

Summary:

The Iraqi marshes, whose vast areas extend in the south and east of Iraq, Mesopotamia, are an important and distinct natural and environmental landmark throughout the history of Mesopotamia since ancient times. They are the Gardens of Eden, as Kevin Young calls them. These marshes, unique in their features and nature, frame an important part of the map of Iraq in the past and present. It highlights and reveals important details of Mesopotamian history. This history, which extends in depth to nearly seven thousand years to the present day. It presents a true and clear picture of the depth of Iraqi civilization, and summarizes for the visitor and viewer a true picture of our beloved country with all its features, terrain, picturesque nature, and the diversity of its atmosphere and locations throughout the stages of history. They are a successful attraction for people, tourists and visitors for a long time, because of the unique elements that these areas possess. The UNESCO decision, which called and encouraged UNESCO of the United Nations to include it in the World Heritage file, as well as many unique and important historical and tourist attractions scattered all over the world .Although this UN resolution took a long time and came late, but despite everything, it was an important and required decision and the Iraqis waited for a long time to be put on the ground and implemented as it was recently announced after it was resolved in the meetings of the committee in charge of the issue during the meetings of Turkey months ago. In order to get to know well and closely the most important details of these marshes, their nature, history, the diversity of their inhabitants and the most important events that they witnessed throughout their long history, we must pause for moments at each of these important pivotal stations in order to reach the details and interesting information we aspire to support the health of Our words and the news we went to were included in our research marked the Iraqi marshes in the eyes of a foreigner.